الرؤية الاستشراقية للمتبنيات الاسلامية بين المستشرق الأمريكي صموئيل زويمر وابو حامد الغزالي

"The Orientalist Perspective on Islamic Foundations between the American Orientalist Samuel Zwemer and Abu Hamid al-Ghazali"

الباحث

م. د. ضياء ماجد حسن العبودي

Asst. Prof. Dhiyaa Majid Hassan Al-aboudi

مركز الدراسات والاستراتيجية والسياسات العامة

كلية الامام الكاظم (ع)

Center for Strategic Studies and Public Policies

Dhiaa.majed@alkadhum_col.edu.iq

الملخص

يعد المستشرق والمنصر(١) الأمريكي صموئيل زويمر من اشهر واخطر الشخصيات التبشيرية التي دخلت البلاد الإسلامية ، اذ أقام في شبه الجزيرة العربية ومصر لأكثر من ٣٨ عاماً (١٨٩٠-١٩٢٩) ، وساهم في العمل التبشيري بين المسلمين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أكثر من أي فرد آخر على مر التاريخ ، كان مبشرًا مخلصاً للكنيسة البروتستانتية ، ومعبئاً متحمساً ضد الإسلام والمسلمين ، ولاهوتياُ مؤسساً لجهود الإرسالية المسيحية بين الشعوب الإسلامية ، وقد تناولنا في هذا البحث سيرة حياته ومسيرته العلمية ، كما تطرقنا الى ما قاله زويمر عن الفيلسوف المسلم أبو حامد الغزالي (٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م ٥٠٥هـ /١١١١م) ، وما رسم عن شخصيته من تصورات لها علاقة بنظريته الأساسية وهي المكانة الاسمى للسيد المسيح (عليه السلام) وللمسيحية على باقي الديانات ، واهم المتبنيات الاسلامية في تصورات هذا المستشرق والمنصر الامريكي .

(١) عن معنى التنصير والتبشير وارتباطهما في المعنى والدلالات، انظر : صالح ، محمد عثمان ، النصرانية والتنصير ام المسيحية والتبشير ، (المدينة المنورة : مكتبة ابن القيم ، ١٩٨٩) ، ص ٣١ وما بعدها .

Abstract:

Samuel Zwemer, the American orientalist and missionary, is one of the most famous and dangerous missionary figures who entered the Islamic countries. He resided in the Arabian Peninsula and Egypt for 38 years (1890-1929), and contributed more to missionary work among bowling in the Middle East and football celebrities in Africa than any other individual in March. He was a loyal missionary to the Protestant Church, a direct and enthusiastic opponent of Islam and Muslims, and a theologian who established educational programs among Christians. In this research, we discussed his biography and academic career, as well as what Zwemer said about the Muslim philosopher Abu Hamid al-Ghazali (450 AH / 1058 AD - 505 AH / 1111 AD), and the concepts he drew in relation to his basic theory, which is the supreme status of Jesus Christ (PBUH) and Christianity over other religions, and the most important Islamic adoptions in the concepts of this American orientalist and missionary.

المقدمة

تميز المستشرق الامريكي بجهوده التنصيرية التي فاقت الى حد كبير جهود اقرانه في هذا المجال ، وقدم نفسه للعالم كاتباً وناشراً ومتحدثاً متجولاً في المؤتمرات (النملة، المستشرقون والتنصير، ١٩٩٨، صفحة ١٠) قام بتقديم المسيحية إلى المسلمين كديانة أخيرة ليس بعدها دين سماوي آخر ، وان المسيح (عليه السلام) هو آخر الأنبياء والمخلّصين ، وكرس حياته من اجل ابعاد المسلمين عن دينهم ، ثم التحول الى المسيحية ، ولم يتوقف طوال حياته في الدفاع عن نهائية المسيح عبر نتاجه الغزير ككاتب وفعاليته في تجنيد المبشرين والاهتمام بالبعثات التبشيرية .

في هذا البحث نتناول شخصية وجهود هذا المبشر والمستشرق الأمريكي المولد ، والهولندي الأصل وتصوراته عن الاسلام ، فلم يكتفي زويمر بمحاولاته محو كل اصالة للدين الإسلامي ونبيه الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) ، بل ذهب الى تتبع كتابات إسلامية تقدس مكانة السيد المسيح(عليه السلام) كنبي مرسل ، ليجعل من ذلك اعتراف بمكانته الاسمى بين باقي الأنبياء ، هذا اذا علمنا انه غير مؤمن بنبي بعث بعده ، ويظهر ذلك بوضوح عبر كتاباته وعمله الذي مارسه لعقود من عمره ، كما تطرقنا الى ما قاله عن الفيلسوف المسلم أبو حامد الغزالي ، وما رسم عن شخصيته من تصورات ، اذ نجد ان زويمر قد ذهب في كتابه « مكان المسيح المكين في احياء علوم الدين لحجة الإسلام الغزالي « ان الغزالي اعترف في كتاباته بهذه المكانة وهو الملقب بـ « حجة الإسلام « وهذا بحد ذاته يعد نصرا له بشكل خاص (أي لصموئيل زويمر) ، وللمسيحية بشكل عام ، لذلك قمنا بتتبع النصوص التي اعتمدها هذا المستشرق من كتابات الغزالي لنكشف صدق ادعاءاته من عدمها ، وهذا هو محور بحثنا ، والسؤال الذي نود الاجابة عنه في تلك السطور

ولان شخصية مهمة مثل صموئيل زويمر غير معروفة لدى الكثيرين؛ سوف نقوم بالتعريف به أولا وبأعماله التي قام بها لا سيما في البلدان الإسلامية جعلته في موقع الريادة بالنسبة لشخصيات الارساليات التنصيرية في كافة الأوساط الانجيلية الرسمية ، ثم نتحدث بشكل مختصر عن العالم والفقيه والفيلسوف المسلم أبو حامد الغزالي ؛ الشخصية المعروفة على نطاق التراث الإسلامي وخارجه ، بعدها نتحدث عن الكتاب المذكور وما خلصنا اليه من نتائج مع التأكيد على المصادر المهمة التي لها علاقة بموضوع البحث.

أولا : صموئيل زويمر

أسرته : ولد صموئيل مارينوس زويمر في فريزلاند بولاية ميشيغان عام ١٨٦٧ من اسرة ذات أصول فرنسية هاجرت الى هولندا عام ١٦٨٥ ، كان ترتيبه من الاسرة هو الثالث عشر من بين خمسة عشر فرد ذكور واناث عمل والده ادريان Adriaan في الجيش الهولندي ، ثم في التعليم ، بعدها عمل في مصلحة الضرائب والجمارك ، تعرف (ادريان) على امرأة اسمها كاثرينا بوون من اصل الماني ثم خطبها وهاجر بها الى الولايات المتحدة حتى استقر بهم المقام بمدينة روشستر Rochesterحيث تزوجا وبنيا مسكنا متواضعا لهما ، بعدها انتقلت العائلة الى مشيغان Michigan اذ تم قبول ادريان في اكاديمية وكلية هوب والدراسة فيها[(١)]، ودرس العقيدة على يد قس محلي، في عام ١٨٥٧م طلب اليه الوعظ في الكنيسة ثم تمت الموافقة على عمله فيها ، وفي عام ١٨٧٠م انتقلت العائلة الى كنيسة أخرى في ملواكي Milwaukee في وسكونسون [(٢)] .Wisconsin

امتازت هذه الاسرة المسيحية بالتدين ، وعرفوا افرادها بالالتزام الديني المتشدد ، كانوا يقرؤون الكتاب المقدس في كل وجبة ، يقرؤونه كله معًا كل عام ، مع هذه الأجواء الاسرية فلا عجب أن يكون صموئيل زويمر مخلصا وملتزما لدينه منذ فترة طفولته ، حتى ان امه قد « أخبرته أنها كرسته لخدمة الرب ووضعته في المهد بالصلاة حتى يكبر ليصبح أباً تبشيرياً «[(٣)] ، وصدقت نبوءة والدته اذ ورث زويمر صفات الاسرة وحافظ عليها كما انعكس هذا التشدد على أولادهم عامة ، ست من الاخوات العاملات في البيت والمدرسات في المدارس الحكومية ، واحدة منهن وهي نيلي Nellieزويمر ذهبت الى الصين وبالتحديد مدينة اموي Amoy وامضت هناك أربعين عام تعمل في التنصير ، وخمسة اخوة عمل أربعة منهم قساوسة ، اكبرهم جيمس فردريك الذي اصبح رئيس المعهد اللاهوتي الغربي للتعليم في مشيغان فضلا عن انه اصبح قسا ورائدا في التنصير في داكوتا الكندية ، وبيتر جون فهو اصغر من زويمر[(٤)] ، سافر معه الى الجزيرة العربية ثم عاد الى الولايات المتحدة ومات في نيويورك عام ١٨٩٨م عن ثلاثين عاما ، اما كاثرينا بوون والدة صموئيل فقد توفيت عام ١٨٨٦م بعد ان عانت من عدة مشاكل صحية ، ودفنت في مقبرة

(1) Christy, 1952,p.117.

(2) m.samuel zwemer.p.29-30.

(3) Christy, 1952,p.117.

(4) Christy, 1952,p.117.

المهاجرين في مشيغان((١)).

حياة صموئيل زويمر :

تعلم زويمر اللغتين الهولندية والإنكليزية وهو في عمر خمس سنوات ، وتعلم الألمانية ايضا في المدرسة ملواكي ، درس زويمر في المدرسة الحكومية في نيويورك ، ثم انتقل الى المدرسة في مشيغان عام ١٨٧٦م عندما انتقلت عائلته الى هناك ، وفي خريف ١٨٧٩م دخل المدرسة الإعدادية التابعة لأكاديمية وكلية هوب ، وكان عمره آنذاك اثني عشر عاما ، وفي عام ١٨٨٣م دخل الكلية المعروفة باسم كلية هوب ، وفي السنة الأخيرة لصموئيل زويمر في هذه الكلية ، قام روبرت وايلدر، وهو أحد رواد الحركة التطوعية الطلابية ، بزيارة الحرم الجامعي ، وبينما كان يعرض احتياجات البعثات التبشيرية ، عرض خارطة الهند وعبر عن حزنه بأن يموت شخص واحد في شبه القارة الهندية لم يسمع إنجيل يسوع المسيح قط وقد أثّر هذا الأمر على زويمر لدرجة أنه أسرع إلى الأمام ووقع على بطاقة القرار التي جاء فيها: "God helping me, I purpose to be a foreign missionary" « الله يساعدني، أنوي أن أكون مبشراً أجنبياً»((٢)) ، ويعد ذلك تعهدا وتحضيرا للذهاب إلى خارج البلاد كمبشر.

تخرج زويمر من كلية هوب عام ١٨٨٧ ، ودخل في ١٩ سبتمبر ١٨٨٧، دخل المدرسة اللاهوتية للكنيسة الإصلاحية في نيو برونزويك، نيو جيرسي ، وهي كلية متحررة في الفنون والمهارات ، فضلا عن انها تعرف بمدرسة الأنبياء ؛ لان صغار العبرانيين والتوراتيين يعدون لتأهيلهم لدخول اللاهوتي المقدس ، وفي السنة الأولى من دراسته اللاهوتية ، خصص زويمر الساعة من الثانية عشرة ظهرًا إلى الساعة الواحدة ظهرًا كوقت خاص للصلاة والعبادة ، وهو ما يعكس الالتزام الديني لديه ، وقد طور لاحقًا هذه العادة في وقته الهادئ بقراءة الكتاب المقدس بلغة مختلفة كل يوم من أيام الأسبوع لمواصلة معرفته بهذه اللغات ، كما انه درس الطب من خلال دروس خاصة ، وكان يأمل أن تساعده في مسيرته التبشيرية ، لقد قرأ بعناية كتاب تشريح غراي، وهو دليل للعلاجات، ونصوص طبية أخرى ، وفي فترة لاحقة من دراسته، ومع نهاية كل أسبوع يذهب إلى نيويورك يقضي عطلته بالعمل في عيادة طبيب هو السير ويليام وانليس Sir William Wanless ، الذي اشتهر بأنه احد اهم الأطباء والجراحين التبشيريين في الهند ، أعطاه الدكتور وانليس دروساً في الطب، وعمل زويمر كمساعد وصيدلي ، كانت

(١) تويم , ٢٠١٧, ص ٢١-٢٣.

(2) Christy, 1952,p.117

عادته في عيادة Bleecker Street Mission Clinic في مدينة نيويورك هي لصق آية من الانجيل مع الملصق الموجود على كل زجاجة دواء ، حتى انه تسبب في احدى المرات بقدر كبير من الذعر لاحد المرضى ، اذ قرأ على الزجاجة الآية الانجيلية : "Prepare to meet thy God" «استعدوا للقاء ربكم»[(١)].

في السنة الأولى من دراسته في مدرسة نيو برونزويك (١٨٨٧-١٨٨٨)، تحدث زويمر مع زميل له كان يسبقه بعام دراسي اسمه جيمس كانتين James Cantine ، وأقترح عليه الذهاب إلى أحد المجالات المحتاجة والقصد هنا هو العمل التبشيري ، أجاب كانتين أنه كان يفكر بنفس الطريقة ، فتصافحوا وتعاهدوا على العمل سوية بصدق وإيمان ، وأصبح البروفيسور جون ج. لانسينغ Professor John G. Lansing الذي قام بتدريس اللغة العبرية في المدرسة اللاهوتية والذي أمضى عدة سنوات في مصر، مستشارهم وصديقهم المقرب في الإعداد لنشاطهم التبشيري ، وعندما تبلورت خططهم ، اختاروا الجزيرة العربية موطن الإسلام لاسباب دينية بحتة ، وهو المكان الاصعب الذي يمكنهم أن يجدوه ، اذ نظروا على ان الإسلام هو الدين الوحيد الذي التقى بالمسيحية وانتصر عليها ، وبالتالي كان المنافس الأكبر للعقيدة المسيحية[(٢)].

تواصل زويمر وكانتين مع منظمات مختلفة بشأن إرسالهما إلى شبه الجزيرة العربية كمبشرين، لكن لم يقم أي منهما برعايتهم، قائلين إنه من الحماقة أن يرغبوا في الذهاب إلى مثل هذا الشعب المتعصب (Christy، ١٩٥٢، صفحة ١١٧) ، لكن زويمر وزميله كانا اكثر اصرارا على القيام بالمهمة وكثفوا من المناشدات والزيارات سواء للمنظمات المجتمعية او الكنائس حتى حصلا على الاموال اللازمة لدعم مشروعهما والرحيل الى البلاد العربية كمبشرين[(٣)]، ووافقت الكنيسة الإصلاحية على رعايتها ، وهكذا ولدت البعثة التبشيرية العربية الاميركية الى البلاد الاسلامية[(٤)] .

تخرج جيمس كانتين من المدرسة اللاهوتية عام ١٨٨٩، وذهب إلى بيروت لدراسة اللغة العربية ، وبعد عام تخرج زويمر وحصل على درجة البكالوريوس مع مرتبة الشرف ، وتم رسامته في الكنيسة الإصلاحية الأمريكية في ٢٩ ايار ١٨٩٠، وغادر أميركا كمبشر للجزيرة العربية في

(1) Christy, 1952,p.117

(2) Christy, 1952,p.117

(3) m.samuel zwemer.p.32-36

(4) Christy, 1952,p.117

حزيران ١٨٩٠ ((١)).

رحلاته ونشاطه التنصيرية:

أبحر صموئيل زويمر ومعه والده وشقيقه الأكبر فريدريك إلى أوروبا ، ذهبوا أولاً إلى هولندا، ومن هناك زار صموئيل اسكتلندا لإجراء اتصالات مع الإرسالية الاسكتلندية، وهي الجمعية الوحيدة التي كان لها عمل في شبه الجزيرة العربية ، أثناء مروره في لندن ، اشترى زويمر مؤلف من مجلدين يتحدث عن الصحاري العربية لتكون عونا ودليلا له في رحلته حتى أصبحت هذه النصوص رفاقه الدائمين الى ان باعها بعد سنوات إلى تي.إي. لورنس T.E. Lawrence المعروف بـ « لورنس العرب « ((٢)).

التقى زويمر بصديقه كانتين في بيروت واخذا دروسا في اللغة ، وكان زويمر تعلم الأبجدية العربية وبعض قواعد النحو الأساسية عندما كان في نيويورك ؛ لتساعده في تحقيق هدفه وهو نشر المسيحية في البلاد العربية وقبل نهاية عام ١٨٩٠، غادرا بيروت متجهين إلى القاهرة((٣))، وهناك اخذوا يدققون في الخرائط ، اقترح كانتين على صموئيل برنامجا يسيرون عليه كان نصه : «سام، أنت تقوم بمسح جانب البحر الأحمر من شبه الجزيرة العظيمة وربما الساحل الجنوبي الشرقي، وأنا سوف اخطط لفحص المواقع في الشرق وعلى الخليج الفارسي»:

Sam, you survey the Red Sea side of this great peninsula and possibly the southeast“ coast, and I will plan to examine the locations to the East and on the Persian Gulf ” ((٤)) .

بعد بضعة أشهر في القاهرة، استقل كانتين باخرة مباشرة إلى عدن، بينما استقل زويمر لاحقًا سفينة ساحلية أسفل البحر الأحمر، ووصل المسافرون إلى عدن بعد خمسة عشر يوما من مغادرتهم السويس (Christy، ١٩٥٢، صفحة ١١٨) ، وكان زويمر قد توقف في جدة فكانت له اول رؤية لجزيرة العرب ، ومناسبة لزيارة عدة مدن للاطلاع عليها ، بعدها اكمل رحلته الى اليمن وبحث في إمكانية فتح مقر الارسالية على الساحل الجنوبي للجزيرة ليشمل أقاليم اليمن وحضرموت وعمان ، ثم سافر بحرا الى مدن المكلا ومسقط على ساحل الخليج مع متنصر

(1) Christy, 1952,p.117

(2) Christy, 1952,p.118

(3) m.samuel zwemer.p-36

(4) Christy, 1952,p.118

سوري اسمه كامل عبد المسيح واستطاع بيع عدد من أجزاء الانجيل للركاب وطاقم السفينة[١]، وعند وصوله الى المكلا كانا قد باعا مائة وعشر نسخ من الانجيل[٢].

ومن المؤكد ان مثل هكذا رحلات كانت تعد بمثابة مغامرة لا يعرف نتائجها ، فحين أبحر صموئيل زويمر إلى شبه الجزيرة العربية في عام ١٨٩٠ ، كان عدد قليل جدًا من المبشرين ، إن وجدوا، قد ركزوا عمدًا على نقل الإنجيل إلى البلاد الإسلامية لا سيما شبه الجزيرة العربية ، حيث الموارد الضئيلة ، وتشتت السكان والمناخ القاسي ، وسيطرة القوى الأجنبية على تلك المناطق ، كل ذلك يعد بمثابة عوائق أمام الدخول لكن زويمر كان يعد نفسه رسولا ومبشرا الى البقاع التي لم تنتشر فيها المسيحية لا سيما الدول الإسلامية[٣]

خلال شهري حزيران وتموز من عام ١٨٩١ قام زويمر بزيارتين الى صنعاء ، التي كانت مغلقة بسبب الاضطرابات الحاصلة ضد الحاكم المحلي العثماني ، ذهب بالسفينة من عدن إلى الحديدة ثم ستة أيام على ظهر بغل ، وفي مدينة صنعاء، مُنح قدرًا كبيرًا من الحرية للتنقل في المدينة ، وعلى متن القارب العائد إلى عدن ، كان هناك العديد من الضباط البريطانيين الذين كانوا في طريقهم إلى الهند ، عندما وصف زويمر رحلته إلى صنعاء، لم يصدقوا في البداية أنه كان هناك ، وعندما اقتنعوا أخيرًا ، رشحه اثنان من هؤلاء الضباط ليصبح زميلًا في الجمعية الجغرافية الملكية ، تم انتخابه مدى الحياة وبالتالي يمكنه أن يكتب بعد اسمه «F. R.G.S.» أي (زميل الجمعية الجغرافية الملكية Fellow of the Royal Geographical Society)[٤].

في هذه الأثناء، قام كانتين زميل زويمر برحلة إلى شرق شبه الجزيرة العربية وحتى الخليج العربي بحثًا عن موقع للإرسالية العربية، وصل إلى مسقط ، ثم واصل رحلته إلى جزيرة البحرين ومن ثم عبر بوشهر على الجانب الإيراني من الخليج ، ومن هناك سافر إلى البصرة[٥]، ولم يمض وقت طويل قبل أن يقتنع بأن هذا سيكون المكان المثالي لبدء عملياتهم ، وكتب لزميله زويمر ليأتي على الفور ، وعند وصوله الى البصرة اقتنع زويمر فتح اول مقر للإرسالية العربية في هذه المدينة، وبالفعل افتتح اول مقر لها في أيلول عام ١٨٩١ [٦].

---

(1) m.samuel zwemer.p-48-52.

(٢) البساطي, ١٩٨٩, ص١٦٣-١٦٤.

(٣) السباعي, ٢٠١١, ص٤١.

(4) m.samuel zwemer.p-38

(٥) تويم, ٢٠١٧, ص٤٤.

(6) m.samuel zwemer.p-44

كان كلا الرجلين وكيلين لجمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية وتمكنا من فتح متجر لبيع الكتب المقدسة في السوق ، لكنهم وجدوا معارضة قوية للعمل التنصيري((١))وكتب زويمر: « مرت البعثة بفترة من المعارضة الحازمة والعداء الصريح من جانب السلطات التركية ، تم إغلاق متجر الكتاب المقدس ووضع حارس على باب المنزل الذي تسكنه البعثة ، ولحسن حظهم، إن المعارضة لم تدم طويلا « لكن المهمة الجديدة كانت تعاني مما هو أسوأ من معارضة الحكومة ، اذ توفي كامل عبد المسيح بعد مرض قصير ، وفي عام ١٨٩٢ زار زويمر جزيرة البحرين ، وتمكن من افتتاح عمل هناك((٢))، وفي وقت لاحق من نفس العام ، انضم بيتر زويمر، الأخ الأصغر لصموئيل ، إلى البعثة وافتتح المحطة الثالثة للإرسالية العربية في مسقط في عام ١٨٩٣ ، وقد استطاعت هذه المحطات من توسيع عملها التنصيري وتوزيع ما يمكن من الاناجيل عبر خدماتها المتعددة للمسلمين لا سيما الخدمات الطبية وبناء المستشفيات بعد ان وجدوا حاجة الناس الى العلاج وبهذه الطريقة يمكن كسب ودهم وبالتالي تسهيل عملية تنصيرهم((٣)).

اعتمدت الكنيسة الإصلاحية الإرسالية العربية وأصبحت أحد مجالاتها المعتادة ، جاءت كلمة من جمعية الكنيسة التبشيرية (CMS) تطلب من كانتين وزويمر مقابلة مجندتين جديدتين قادمتين من أستراليا ومساعدتهما في طريقهما ، وكانت إحداهن هي إيمي ويلكس ، الممرضة الشابة الساحرة التي وقع زويمر في حبها ، وتزوجا في القنصلية البريطانية في بغداد في ١٨ مايو ١٩٨٦ ((٤)).

عاد زويمر بعد زواجه من ايمي الى جزيرة البحرين ، ثم قام بزيارة للأحساء والهفوف ، بعدها عاد الى البحرين ، وفي نهاية شهر تموز عام ١٨٩٢ سافر زويمر الى العراق وزار عدة مدن ، ووصف لنا المدن التي قام بزيارتها في ذلك الوقت ، زار الحلة والنجف وكربلاء والديوانية والسماوة ، وتوجه جنوبا الى الناصرية ثم الى البصرة ، وكل مدينة يمكث فيها عدة أيام ويبيع كتبه الخاصة بالتبشير وبعض الاناجيل((٥)).

ومن رحلاته التنصيرية توجهه الى القاهرة التي أصبحت المركز الرئيس للتنصير((٦))؛ كان زويمر يعلم جيدًا القيمة الإستراتيجية للقاهرة كمركز للبعثات المسيحية للمسلمين اذ يعد موقعها مركزا

(1) m.samuel zwemer.p-80

(2) Christy, 1952,p45

(٣) تويم, ٢٠١٧, ص٤٦.

(4) Christy, 1952,p44

(5) m.samuel zwemer.p68

(٦) حميد, د.ت, ص١٤.

للعالم الإسلامي ، وقد بقي هناك بعد ان تم تعيينه رئيس التنصير للمسلمين في المركز عام ١٩١٢ ، بعدها قام بزيارة عدة مدن مصرية لإقامة تعاون مع الكنائس منها بور سعيد وبنها والزقازيق واسيوط ، كما انه قام بجهود تنصيرية في أماكن ودول أخرى مثل الخرطوم وبلدان شمال افريقيا مثل الجزائر التي اقام بها مؤتمرا تنصيريا محليا عام ١٩٢٢ ، ومحطات أخرى في تونس والمغرب حيث زار الارساليات التنصيرية وتحدث معهم((١)).

فضلا عن المدن العربية، زار زويمر عدة مدن إسلامية للأهداف ذاتها وهو تحويل المسلمين في تلك البلاد الى نصارى ، من هذه المدن القسطنطينية وجاوة وسومطرة ، كما زار ايران بعد الدعوة التي قدمها له بعض المنصرين الحاضرين في مؤتمر بغداد عام ١٩٢٤ ، وقد لبى الدعوة في عام ١٩٢٦ وزار مدن تبريز وطهران واصفهان وهمدان ، ووزع نسخ من الاناجيل هناك((٢)).

اهم مؤلفاته :

فضلا عن مساهماته اللاهوتية في الإرسالية المسيحية بين المسلمين ، اشتهر صموئيل زويمر من خلال كتاباته الواسعة والتي بلغت تسعة وعشرين كتابًا والمشاركة في تأليف تسعة عشر كتابًا آخر، وكتب عشرات المقالات ، معظمها كانت مسلطة على الإسلام والمسلمين لا سيما في البلاد العربية ، وكان نتاجه بالقلم اكثر من أي مبشر بالنصرانية في التاريخ ، كما أسس زويمر مجلة العالم الإسلامي وقام بتحريرها لمدة ٣٧ عامًا ، وتعد من اهم اعماله التي لها علاقة بنشاطه التنصيري ، اذ اثْرت مقالاته دراسات مهمة عن أفكار المسلمين ومعتقداتهم ، وعلاقتهم بالمسيحية ، والخطط التي يجب ان يسير عليها المبشرين مع المسلمين((٣))، فضلا عن المؤلفات ، نشر زويمر عدد كبير من المقالات((٤)).

ولم تتوقف جهود زويمر في البحث عن أي وسيلة لنشر ما يؤمن به ، وهو نشر المسيحية في كل مكان لا سيما في البلدان العربية والإسلامية ، ففضلا عن ترحاله في تلك البلدان وحثه الناس للإيمان بالنصرانية والابتعاد عن دينهم ، متخذا شتى الطرق لتحقيق غاياته ومنها توزيع المطبوعات والمنشورات الداعية الى النصرانية وبثها بين صفوف المسلمين ، مقرونا بالأساليب الودية والوعد بتلبية المطالب ، وممارسة مهنة الطب لحاجة الناس الى العلاج

(1) Christy, 1952,p119

(٢) تويم, ٢٠١٧, ص٥٤.

(٣) الجبري, ١٩٩٥, ص٦٠.

(٤) العقيقي, ١٩٩٤, ١٠٠٥.

والدواء وهي طريقة وجدها سهلة للدخول الى قلوبهم والسيطرة على عقولهم ، كل ذلك لم يمنعه من تدويل قضيته لتكون رأيا غربيا عاما أي جعل المؤسسات الدينية الغربية كلها تهتم بما يتطلع من اجله ، وكذلك توجيه اهتمام اللاهوتيين المحليين ، لذلك ابتكر زويمر عقد مؤتمرات تنصيرية يجمع فيها ارساليات التبشير البروتستانتية للتفكير في مسألة التبشير بين المسلمين((١))، وفي عام ١٩٠٦ اذاع اقتراحه وابان الكيفية التي يكون بها ، فكان مؤتمر القاهرة في شهر نيسان من العام نفسه ، وحضر فيه ممثلون عن ارساليات التبشير الامريكية والإنكليزية والاسكتلندية والالمانية والهولندية والسويدية والدانيماركية ، وانتخب زويمر رئيسا للمؤتمر الذي نوقش فيه الصعوبات التي يلاقيها المبشرون لدى تبشير (المتنورين) من المسلمين وهذه الصعوبات هي التي جعلت المؤتمر يبحث في الوسائل التي يكون لها تأثير ما على عقيدة الأجيال الناشئة الإسلامية ، كذلك ناقش المؤتمر الوسائل التي تمكن المبشرين من السيطرة على عامة المسلمين ، وقد انبثقت بعد هذا المؤتمر مجلة أسبوعية اسمها « الشرق والغرب « افتتحوا فيها بابا غير ديني واخذا يبحثون فيه أمورا تتعلق بالشؤون الاجتماعية والتاريخية ، كذلك اسسوا مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة الغرض منه اجتذاب الزبائن ومحادثتهم اثناء البيع ، بل ان المؤتمر اقترح تأسيس مدرسة جامعة تشترك فيها المؤسسات التبشيرية كلها على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الجامع الازهر بسهولة((٢)).

كما تبنى زويمر عقد مؤتمر ادنبرة في اسكتلندا عام ١٩١٠ وكان للمسائل الإسلامية حظ كبير في مداولات أعضائه ، وقد نشرت اعمال المؤتمر في تسع مجلدات ، ونشرت بحوث ما جرى فيه في مجلات تبشيرية أهمها كانت مجلة العالم الإسلامي التي كان يرأسها، ثم تبنى عقد مؤتمر بلكنو في الهند عام ١٩١١، والذي كانت اهم محاوره الحركات الإسلامية وموقف الحكومات اتجاه البعثات التنصيرية للمسلمين((٣)).

لم يتوقف سعي زويمر مع مرور الأعوام بل كان اكثر إصرارا وعدائية ضد الإسلام وأهله ، يظهر نواياه بشكل فاضح في مؤتمر القدس الذي دعا اليه ، وتم انعقاده برئاسته في نيسان عام ١٩٣٥ ابان الاحتلال البريطاني لفلسطين ، وبعد ان شرح أعضاء المؤتمر العقبات الكثيرة التي اعترضت سبيل المبشرين ، والتي لم تسمح لهم بأن يخرجوا المسلمين عن دينهم ويدخلوهم في المسيحية ، قام زويمر رئيس المؤتمر والقى على المؤتمرين الخطبة التالية : « أيها الاخوان الابطال ، والزملاء

(١) المرصفي, د.ت, ص١٣.
(٢) الميداني,٢٠٠٠م, ص٩٠.
(٣) البهي, د.ت, ص٢٠.

الذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام، فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق، الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن الأداء، ووفقتم لها أسمى التوفيق وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه : إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش، وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية، ولكن مهمة التبشير التي قد ندبتكم دول المسيحية بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في خلال الأعوام السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً كل التهنئة، لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة، التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية ، والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء أنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد « »[1].

قبل زويمر منصب أستاذاً لتاريخ الدين والبعثات المسيحية في مدرسة برينستون اللاهوتية ، واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٣٧ ، وبعد التقاعد الرسمي، انتقل إلى مدينة نيويورك وقام بالتدريس في مدرسة الكتاب المقدس في نيويورك ومعهد نياك التبشيري ، في ١/٢٥ / ١٩٣٧ توفيت فجأة زوجته إيمي ويلكس زويمر، التي كانت مصدر إلهامه الدائم وزميلته في العمل لأكثر من أربعين عامًا، وبعد رحيلها كان هناك شعور بالوحدة المؤثرة ، وكانوا أصدقائه يزورونه للتخفيف من معاناته ، وفي عام ١٩٣٩، انتقل زويمر إلى مدينة نيويورك ، وتعرف على امرأة تدعى مارغريت كلارك ، وتطورت صداقتهما إلى علاقة رومانسية وتزوجا في ١٢ مارس ١٩٤٠، عملت مارغريت كسكرتيرة لزوجها وبدأت على الفور بمساعدته في أعماله الأدبية ، وفضلا عن وعظه وكتاباته، قام زويمر بإعطاء دورات في الإرساليات في مدرسة الكتاب المقدس في مدينة

(١) الميداني, ٢٠٠٠م, ص٩٩- ١٠٠.

نيويورك وفي معهد تدريب التحالف المسيحي والتبشيري في نياك، نيويورك ، ثم صار المتحدث الرئيسي في أول مؤتمر لزمالة البعثات الأجنبية للطلاب المشتركين بين الجامعات، والذي عقد في جامعة تورنتو في كندا، وفي السنوات اللاحقة، عُقد هذا المؤتمر في حرم جامعة إلينوي في أوربانا وأصبح خليفة لاتفاقيات الطلاب المتطوعين ، نهاية الرحلة في عام ١٩٤٩، وهو عامه الثالث والثمانين، احتفلت البعثة التي أسسها زويمر بالذكرى الستين لتأسيسها في الاجتماع السنوي في الكويت ، ثم سافر مع وزوجته الى بيروت بعدها ذهبا إلى العراق ، ثم سافرا إلى البحرين ، وبعد زيارة قبور المبشرين واطفالهم قال زويمر: «إذا صمتنا، فإن هذه الحجارة نفسها ستصرخ من أجل تبشير الجزيرة العربية»[(١)].

أصيبت مارغريت بالمرض بعد وقت قصير من عودتها من شبه الجزيرة العربية وتوفيت في أحد مستشفيات نيويورك في ٢١ /٢ / ١٩٥٠، وبعد ذلك بعامين ، في ١٧ /٢ / ١٩٥٢، أصيب زويمر بنوبة قلبية وتم نقله إلى المستشفى ، لكنه تعافى لأسابيع محدودة ، حتى يوم الأربعاء الموافق ٢ أبريل ١٩٥٢، اذ توقف قلبه بشكل مفاجئ وقد قارب عمره الخامسة والثمانين[(٢)].

ثانياً : أبو حامد الغزالي :

الفقيه والمتصوف والفيلسوف أبو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي، ولد في قرية غزالة التابعة لمدينة طوس[(٣)] عام ٤٥٠هـ/ م١٠٥٨، وتوفي في المدينة نفسها عام ٥٠٥هـ /١١١١م)[(٤)] كان والده رجل فقيها ، لا يأكل الا من كسب يديه ، وفي عمل غزل الصوف[(٥)]، ومن هنا جاء الالتباس في اسمه ومصدره ، ففي بعض الروايات تكتب «الغزالي» مشددة نسبة إلى صنعة أبيه غزل الصوف وفي روايات أخرى تكتب مخففة نسبة إلى غزالة وهي قرية صغيرة من قرى طوس مسقط رأسه[(٦)].

---

(1) Christy, 1952,p.20.

(2) Christy, 1952,p.120.

(٣) مدينة طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ ، تشتمل على بلدتين ، يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان ، ولهما أكثر من ألف قرية . انظر : ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي الحموي، (ت ٦٢٦هـ /١٢٢٨م) ، معجم البلدان، (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٧م) ،ج٤ ، ص٤٩ ؛ ليسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، ط٢ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م) ، ص٤٣٠.

(٤) الغزالي, ٢٠٠١م, ص١٩.

(٥) الفاخوري, ٢٣٧/٢.

(٦) امين, ٢٠١١م, ص٣٩.

تربى الغزالي في بيت ابيه تربية صوفية قبل ان تأخذه المنية ، ثم في بيت صديق لوالده هو واخوه بعد وفاة والده ، وتفنن الغزالي في طلب العلوم ، وأراد أن يكون لنفسه ثقافة عامة ، وأدى تلهفه للعلم وشوقه للمعرفة وبحثه المستمر ، إلى ارتقاءه مصاف العلماء وهو شاب يافع وتكونت لديه ثقافة متنوعة في مختلف العلوم ، كعلم الكلام واللغة والفلسفة)[(١)] ، وكان كثير السفر لطلب العلم ، رحل أولا الى جرجان ثم الى نيسابور ، بعدها توجه الى بغداد قاصدا الوزير نظام الملك ، الذي اعجب به وولاه التدريس بالمدرسة النظامية[(٢)] ببغداد عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م والف في هذه الفترة كتبه في اصول الفقه ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره ، ثم توجه الى الحجاز حاجا في جوار بيت الله ، وهذا في الواقع بدء انصرافه عن الدنيا واقباله على الآخرة ، وتحوله من الاشتغال بالعلوم الدنيوية الى التصوف ، ثم رحل الى الشام واستقر هناك عامين اعتزل فيها الناس عاكفا على الخلوة والمجاهدة ، وتردد على كهف جبريل(عليه السلام) في قاسيون ومهد السيد المسيح (عليه السلام) في الربوة ومقام إبراهيم (عليه السلام) والف في دمشق اعظم انتاجاته وهو احياء علوم الدين)[(٣)] .

ثم غادرها الى بيت المقدس ، ثم الحجاز للحج ، وبعد عشرة أعوام من السفر قضاها متنقلا بين الحجاز والشام والإسكندرية ، عاد الى نيسابور عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م ثم الى مقامه الأخير في بطوس حيث انشأ مدرسة للفقهاء وخنقاه حتى وافته المنية عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م وله من العمر اربع وخمسون عاما[(٤)] .

قرأ الغزالي كتب الفقه والتصوف والحكمة، كما كان مطلعاً بشكل واسع الانجيل والآداب المسيحية لأنه كثيرا ما يستشهد في كتبه لا سيما الأخلاقي منها بأقوال وحوادث للسيد المسيح(عليه السلام)[(٥)] ، يقول محقق كتاب « إحياء علوم الدين « إن الغزالي بدأ بدراسة علم الكلام والمجادلة , ثم درس الفلسفة اليونانية والإسلامية وانصرف عنهما بعد ذلك لان العقل كما قال: « ليس مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب , ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات « ، ثم يضيف : وظاهر هذا إن الغزالي لم يكن فيلسوفا عقليا و إنما كان حكيما دينيا بالفطرة ، وانه اتخذ

(١) تامر, ١٩٨٧م, ص٤٢-٤٨.

(٢) المدارس النظامية : سميت بالمدارس النظامية، نسبة الى نظام الملك وزير السلطان الب ارسلان حيث بقي في خدمته مدة عشرة سنوات، وبعد وفاة السلطان اخذ نظام الملك دور السلطان الا التخت والصيد، اهتم بالفقه والحديث وكان محبا للصوفية . أنظر : عادل زعبوب ، مناهج البحث عند الغزالي، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠م)

(٣) العثمان, د.ت, ص٧, ٨.

(٤) الحنبلي, ١٩٨٨م, ٢٣٣, ٢٣٤.

(٥) العثمان, د.ت, ص١٣.

العلم والعقل والشرع ذاته وسيلة للوصول للحال التي هيأته له الطبيعة[(١)].

اهم مؤلفاته :

احياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، المنقذ من الضلال ، أسرار الأنوار الإلهية والآيات المتلوة ، أسرار الحروف والكلمات ، أسرار أتباع السنة ، أسرار العارفين وغيرها العديد من المؤلفات[(٢)].

هذه نبذة مختصرة عن العالم المسلم أبو حامد الغزالي والمعروف بمؤلفاته العديدة في الفقه والفلسفة حتى لقب بحجة الإسلام وهذا ما جعل صموئيل زويمر يوسع البحث في كتابات هذا المفكر المسلم سعيا منه لإيجاد تسويغا لمنهجه ومبررات لنظريته في تأثير الرهبنة المسيحية على الثقافة الإسلامية لا سيما في فكر الغزالي وكتاباته ، واهمها مؤلفه المعروف « احياء علوم الدين «.

ثالثاً : السيد المسيح في فكر الغزالي حسب تصورات زويمر:

امضى زويمر عقود من عمره محاولا تنصير الشعوب التي عمل بها ممثلا للإرساليات التبشيرية، وحاول كذلك نشر الانجيل بين الناس حتى يتسنى لهم قراءته وهي محاولة أولية لتحقيق أهدافه ، ولم يكتفي بذلك ، بل زعم ان اعلام الفكر الاسلامي كان يقرأ الانجيل ومتأثرا به ، وهو الغزالي والملقب بـ «حجة الإسلام» وهذا ما ظهر في كتاباته ، وجاء بنصوص متقاربة من تلك الكتابات وشبهها بعدد من النصوص التي وردت في الانجيل اذ قال : « ان الغزالي ذكر عدة حوادث واقوال للمسيح تشابه بعض المشابهة ما ورد في الانجيل[(٣)] « ، ثم جعل من الغزالي حجة على باقي المسلمين للسير على منهجه ، ومن اجل اثبات نظريته ، بدأ زويمر خطواته بتأكيد وصول الانجيل الى يد الغزالي مترجما الى اللغة العربية وقد اطلع عليه ، اذ نقل لنا ان اول ترجمة للإنجيل الى اللغة العربية هي النسخة الخطية للبشائر الأربعة والاربع عشر رسالة التي كتبها بولص وهذه الترجمة وجدت في دير مار سابا قرب « اورشليم « أي القدس ، ويعتقد ان تاريخها يرجع الى القرن الثامن الميلادي ، وقد ترجمت مخطوطات أخرى من ذلك الدير يرجع تاريخها الى القرن التاسع أيضا فكان مجموعها العهد الجديد كله[(٤)]، وبهذا نجد انه في اخر القرن التاسع كان

(١) مقدمة كتاب الغزالي احياء علوم الدين, د.ت, ص٣٧.

(٢) عن هذه المؤلفات انظر : بدوي ، عبد الرحمن ، مؤلفات الغزالي ، ط٢ ، (الكويت: وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧م).

(٣) زويمر, ١٩١٧م, ص١٧.

(٤) ومجموع هذه الأناجيل سمي بالعهد الجديد (إنجيل متي ، إنجيل مرقص ، إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا) الى جانب هذه الأناجيل يحتوي الكتاب المقدس المسيحي على عدد من الأسفار وهي : رسائل بولص الرسول ، رسائل يعقوب , رسالتين لبطرس , ثلاث رسائل ليوحنا , رسالة يهوذا وأعمال الرسل المعزو تدوينه الى لوقا ، إلى جانب هذه الأسفار التي عدت قانونية. للمزيد انظر : السواح ، فراس ، الإنجيل برواية القرآن، (دمشق : دار علاء الدين للنشر، ٢٠١٧م)

العهد الجديد كله مترجما الى اللغة العربية ، وتوجد نسخة منه بين ذخائر دير القديسة كاترينا بطور سيناء ومحفوظة بمدينة بتروغراد في روسيا (لينينغراد) ومعها أيضا رسائل بولص سنة ٨٩٢م ، اما المخطوطات في ذات اللغتين السريانية والعربية فعديدة جدا ، منها بعض أوراق بشائر محفوظة في المتحف البريطاني((١)).

ولوجود هذه النسخ او المخطوطات من الانجيل مترجمة الى العربية ، افترض زويمر ان هذه النسخ المترجمة موجودة في عهود سبقت ولادة الغزالي((٢))، ومن المؤكد انه قد اطلع عليها نظرا لثقافته العالية ورغبته الدائمة للمعرفة ، حيث قال : « اذاً من المحتمل بل من المؤكد تقريبا ان الغزالي كان مطلعاً على احدى هذه التراجم « ، ونحن مع ما ذهب اليه زويمر في ذلك الافتراض ؛ ذلك ان الغزالي كان شغوفا بالعلم ومطلعاً على كل يمكن ان يصل اليه ، وهذا ما يفسر تنوع ثقافته وكتاباته التي شملت حقول الفقه والمنطق واللغة والفلسفة ، واطلاعه على الانجيل لا يعد عيبا على المسلم ما دام لا يجعله مشككا بدينه.

حاول صموئيل زويمر ان يصل بنا الى فكرة تأثر الغزالي بكتاب الإنجيل وتأثر اكثر بالسيد المسيح(عليه السلام) وهذا ما يفسر رواياته العديدة الواردة في « احياء علوم الدين « ، والحقيقة ان زويمر تتبع تلك الروايات وقام بجمع معظمها في كتابه « مقام المسيح المكين في احياء علوم الدين « ليؤكد فرضيته كما وسبق ان ذكرنا ذلك، وسوف نذكر بعض من هذا النصوص لتكون الصورة اكثر وضوحا ولنعتمد مقتضيات منهجية للنقد والكشف عن آليات العقل التنصيري المنتج لها لنتعرف على مبتغى صموئيل زويمر ومنهجه الحقيقي في هذه الدراسة ونتعرف كذلك على صدق مراميه وأسرار انسجامه مع أبو حامد الغزالي .

، ص٨ ؛ السعدي ، محمد ، حول موثوقية الأناجيل ، (ليبيا ، طرابلس : منشورات رسالة الجهاد ، ١٩٨٥م) ، ص ١١-١٣ ؛ الخولي ، محمد علي ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، (عمان : دار الفلاح للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨م) .

(١) السواح, ١٩١٧م,ص١٠.

(٢) نجد في كتاب الأب سميح رعد (انجيل يسوع المسيح بحسب الاحياء للغزالي) عن الفترة التي وصلت اول ترجمة للإنجيل الى البلاد الإسلامية اذ يقول « نظن أن الاستشهادات التي استعملها الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين مستمدة من حقبة ما بين التاريخ الديني العربي، وما قبل الإسلامي، وصلت إليه مشافهة أو كتابة، علماً أن للمشافهة دوراً أساسياً في الفكر الديني الإسلامي « ، يتحدث الاب رعد عن أقدم الترجمات للكتاب المقدس، إذ تخبرنا كتب التاريخ أنه في العام ١٨ هجري/٦٣٩ ميلادي، طلب القائد العربي عمر بن سعد بن أبي وقاص ومن البطريرك السرياني يوحنا الثالث أن يضع ترجمة للإنجيل في اللغة العربية، وربما تم ذلك في هذا التاريخ ،وعرف الغزالي الكتب المقدسة المسيحية القانونية، وتؤكد النصوص التي بين أيدينا، في **الإحياء**، أن الغزالي عرف أنجيلاً اعتبره الانجيل الصحيح الذي أنزل على عيسى، حيث قال: ورأيت في الإنجيل. انظر : ص ص١٢-١٣

رابعاً : نصوص من الإنجيل وردت في كتابات الغزالي :

إثر تأمله في كتابات الغزالي ، وتركيزه على ما ورد منها في الانجيل ، يفتتح صموئيل زويمر فصل كتابه بالعبارات الاتية : « ان يسوع المسيح هو حجر محك الاخلاق وسيد الناس والقاضي العظيم المعصوم من الخطأ الذي يقدر ان يبدي حكما صائبا عن أي نظام او تعليم ديني دون ان يعتور حكمه خطأ او خطل ، فها هو مقام يسوع في تعاليم اعظم أئمة المسلمين وحجة الإسلام العظيم والصوفي الباحث عن الله والمخلص في بحثه والراغب من كل قلبه ان يجد الله ويتعرف به « ، ثم يذهب الى النصوص التي ذكرت بإنجيل متي ليدعم فرضيته ، والحقيقة انها نصوص كثيرة سوف نقوم بذكر قسماً منها ، من هذه النصوص : « روي ان ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك)[(١)] « ، وقال زويمر ان هذا النص موجود في كتاب احياء علوم الدين في فصل: بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل : « قوله روي انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث قد حدث فكانكم فطار حتى اتى خافقي الأرض)[(٢)] .

« وروي ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا ، فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا[(٣)] « ، وقد جاء في بيان تفضيل مداخل الشيطان الى القلب عند الغزالي[(٤)].

ونص آخر : « لقد فضلت بعض النبين على بعض فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلاله سلم على نفسه فقال « والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا[(٥)] « ، وهذا النص أيضا موجود في فصل بيان معنى الانبساط والادلال الذي تثمره عليه الانس)[(٦)] .

« وروي ان عيسى عليه السلام كان يناجي ربه ستين صباحا لم يأكل فخطر بباله الخبز فإنقطع عن المناجاة فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة واذا شيخ قد اظله فقال له عيسى بارك فيك يا ولي الله ادع الله تعالى لي فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني فقال الشيخ اللهم ان كنت تعلم الخبز ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان اذا حضر لي

(١) زويمر, ١٩١٧م, ص٩, ١١.
(٢) حامد, ٢٠١١م, ٣٢/٣.
(٣) زويمر, ١٩١٧م, ص١٢.
(٤) حامد, ٢٠١١م, ٣٢/٣.
(٥) زويمر, ١٩١٧م, ص١٢.
(٦) حامد, ٢٠١١م, ٣٤٢/٤.

شيء اكلته من غير فكر وخاطر « [(١)]، ذكر هذا في كتاب الاحياء)[(٢)] .

ويتحدث زويمر عن معجزات للسيد المسيح (عليه السلام) سجلها لنا الغزالي اعترافاً منه بمنزلته العالية على باقي الانبياء اذ ذكر لنا [(٣)] : « قال الحواريون لعيسى مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك ، فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم ، قالوا حسنة ، قال ولكنهما والمدر عندي سواء « [(٤)] «.

وفي هذا السياق سجل زويمر نصا اخر من كتاب الاحياء)[(٥)] « قيل للنبي (صلى الله عليه وسلم) ان عيسى(عليه السلام) يقال انه مشى على الماء ، فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لمشى على الهواء»[(٦)] «.

ويصف الغزالي النبي عيسى(عليه السلام) باللطف في الحديث والرقة في الخطاب فقال « روي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام ، فقيل يا روح الله اتقول هذا لخنزير ، فقال اكره ان اعود لساني الشر» [(٧)] «.

وذكر زويمر قصة ساقها من كتاب الاحياء للغزالي[(٨)] يقول عنها انها تبين ان المسيح يستطيع ان يعلم أفكار الناس وان يغير مقاصدهم بالصلاة لله كما فعل لهذا الشيخ : « وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال عيسى(عليه السلام) اللهم أنزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتي»[(٩)] «.

ثم يضع لنا زويمر في كتابه نصوص من كتاب الغزالي (احياء علوم الدين) مع نصوص من الانجيل ويقول في ذلك : « اني جمعت بقدر الطاقة الاقوال المقتبسة من الانجيل ووضعتها

(١) زويمر, ١٩١٧م, ص١٤.
(٢) حامد ٢٠١١م, ٦٧/٣.
(٣) زويمر, ١٩١٧م, ص١٥.
(٤) حامد ٢٠١١م, ٦٥/٣.
(٥) زويمر, ١٩١٧م, ص١٥
(٦) حامد ٢٠١١م, ٤٢/٤.
(٧) زويمر, ١٩١٧م, ص١٨.
(٨) حامد, ٢٠١١م, ١٥٤/٤.
(٩) زويمر, ١٩١٧م, ص١٩.

امام النصوص الاصلية ليرى القارئ ويحكم ... ويرى المطلع على هذا ان الغزالي قد جعل جل اقتباسه من انجيل متي»[(١)]

والحقيقة اننا راجعنا ما ذكره الغزالي في كتابه المذكور، ووجدنا إنه قد ذكر عدد من الأنبياء بمناسبات عديدة ولم يتوقف الامر عن ذكر النبي عيسى ابن مريم(عليه السلام) ، كما وجدنا العديد من النصوص قد ذكرت ، اي اننا نلتقي في عدد من النقاط التي ذكرها صموئيل زويمر لكن بالمجمل نختلف معه ، وهنا ننقل حرفيا عدد من هذه النصوص التي ذكرها زويمر وقال عنها بأنها اقتباس من الانجيل ، ويقصد هنا ان الانجيل هو مصدر مهم من مصادر الغزالي في كتابه الفقهي والاخلاقي « احياء علوم الدين « منها: « قال عيسى المسيح اذا كان صوم احدكم فليدهن من رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم «[(٢)] ، وفي إنجيل متي :» واما انت فمتى ما صمت فأدهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائما»[(٣)] « .

ثم ذكر نصا آخر للغزالي يذكر فيه « واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله[(٤)] « ، وجاء في الانجيل : « واما انت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تنفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء» [(٥)] .

وكذلك سجل لنا الغزالي : « قال عيسى انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فأن قلتم نحن اكبر بطونا فأنظروا الى الانعام كيف قبض الله تعالى لها هذا الخلق للرزق[(٦)] « ، وهو يشابه ما جاء في الانجيل[(٧)] : « انظروا الى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن وابوكم السماوي يقوتها السم انتم بالحري افضل منها ، تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم ان ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها[(٨)]» ، ثم نص بعده للغزالي يذكر : « واذا صلى ستر بابه فإن الله يقسم الثناء

(١) زويمر, ١٩١٧م, ص٢٢.
(٢) حامد, ٢٠١١, ٨٣/٣.
(٣) متي, ٢٠١٦م, ٦/ ١٧-١٨
(٤) حامد, ٢٠١١م, ٢٠٦/٣.
(٥) متي, ٢٠١٦م, ٣/ ٤-٦.
(٦) حامد, ٢٠١١م, ١٩٠/٤.
(٧) متي, ٢٠١٦م, ٢٦/٦.
(٨) يستشهد المستشرق اليهودي جولدتسهير بهذا النص ونصوص اخرى ليثبت ان الحياة النسكية للمسلمين انما هي مستمدة من الرهبنة المسيحية، انظر : العقيدة والشريعة ، ط٢، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٥٩، ص ١٤٧ ، ١٤٨

كما يقسم الرزق»[(١)] « ، اما في الانجيل : « فمتى صليت فإدخل الى مخدعك واغلق بابك وصل الى ابيك الذي في الخفاء ، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية»[(٢)] « ، وقال الغزالي ايضاً: « ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها حبص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى» [(٣)] « ، وفي الانجيل : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوة عظام اموات»[(٤)].

وجاء في الاحياء : « قال عيسى عليه السلام : ما بالكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري ، البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وقال أيضا جودة الثياب خيلاء في القلب « [(٥)]، وفي الانجيل : « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة ، من ثمارها تعرفونهم «[(٦)].

فضلا عن تلك النصوص التي قال عنها زويمر ان الغزالي اقتبسها تحديدا من انجيل متي اذ قال « فمن يشك في ان الغزالي رأى الانجيل حسب قوله عن نفسه وانه اقتبس منه حرفيا حسب الترجمة التي كانت في حينه «[(٧)] ، بعدها أورد نصوص أخرى ذكر فيها الغزالي السيد المسيح(عليه السلام) في مؤلفاته الأخرى وهذا ما جعل زويمر من جانبه يؤكد فرضيته التي يرى فيها تأثير كبير للمسيحية في فكر الغزالي ، ثم اصبحت الفرضية حقيقة يؤمن بها زويمر عندما قال : « ومن يدقق النظر في مصنفات الغزالي يجد فرقا عظيما بين عقائده الدينية التي يجعلها مطابقة للقرآن طبعا وضرورة ، وبين أفكاره الشخصية كمتصوف يسبح في عالم التأمل ويكشف عن عينيه ليرى غير المنظور وكأنه بهاتين الحالتين يذكرنا بقول « انسليم Anselm of Canterbury أسقف كانتربري ١٠٣٣ - ١١٠٩ « : (اني لا أحاول يا رب ان ادخل في اعماقك لان عقلي لا يستطيع ذلك بل اني ارغب من كل جوارحي ان افهم شيئا من حقك الذي يؤمن به قلبي ويحبه لأني لا ابحث لأفهم حتى اؤمن ولكني اؤمن لافهم) ، فلما يتكلم الغزالي عن قرب الله منا ورغبة النفس في الشركة مع الله نجده يقترب من فكر التجسد المسيحي ولكنه لا يفصح ولا يجلو حقيقة ما يدور في خلده ، فالغزالي ولا شك رأى القول الوارد في الكتاب المقدس « الله لم يره احد قط

(١) حامد, ٢٠١١م, ٢٠٦/٣.
(٢) متي, ٢٠١٦م, ٦/٦.
(٣) حامد, ٢٠١١م, ٤٥/١.
(٤) متي, ٢٠١٦م, ص٢٣, ٢٧.
(٥) حامد, ٢٠١١م, ٢٤٥/٣.
(٦) متي, ٢٠١٦م, ١٥/٧.
(٧) زويمر, ١٩١٧م, ص٢٦.

« ولكنه تجاهل باقي العبارة وهو « الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب هو خبّر» ، بل ان زويمر جعل الغزالي في موقف غير المؤمن بدينه معتمدا على تقارب افكاره بما جاء في الانجيل اذ يقول : « وما اقرب بعض اقواله الى كلمات المسيح ، طوبى لأنقياء القلب لانهم يعاينون الله ، نعم وان معاينة الله هي التي اشتاقت اليها نفس الغزالي وحسبها اسمى خير في هذه الحياة والحياة الاخرى ومع كل ما بذله من المجهود في ايضاح هذه المسألة والكلام عن طبيعة النفس وطبيعة الله فأنه يعترف انه كواقف امام حائط لا يدري ما وراءه»[(١)] « ، وهنا نقول : هل يعد كل ما تقدم تبريرا لدى صموئيل زويمر حتى يجعل من الغزالي مسلما في ظاهره مسيحيا في منهجه وتفكيره العقائدي؟

لقد بذل زويمر عقود من عمره وهو يحاول ان يجعل من النبي عيسى(عليه السلام) آخر الرسل في هذه الأرض وان المسيحية هي الديانة التي ختم بها الله عز وجل كل الديانات ، وهذا يعني ان الإسلام ما هو الا هرطقة واشراك ، وحاول عبثا ان ينشر هذه الفكرة في البلاد العربية والإسلامية لكنه اعترف أخيرا بفشله وفشل رسالته التي عاش ومات من اجلها ، وامتد به الطموح ليجعل من يلقب بحجة الإسلام لديه أصول ومعتقدات اقرب الى المسيحية ، وهذا يقرب الى تأكيد نظريته التي كانت هدفه وما يريد ان يوصله لكل الشعوب لا سيما الاسلامية منها، فهو لم يختار من الأعلام إلا من وجد في عقيدته تقليداً للرهبنة المسيحية أو توجهاً فلسفياً لاهوتياً بحسب زعمه ، وهذا ما ادعى وجوده في فكر الغزالي ، وهو بلا شك ناتج عن تكوينه الديني والروحي ومن موقع انتمائه للكنيسة الكاثوليكية الذي كان لها دوراً أساسياً في توجيه دراساته واختياره لنوعية أبحاثه ، وعلى ما يبدو ان اهتمام زويمر بتراث الغزالي يعود لأسباب تتعلق بالغزالي نفسه وما يثيره من قضايا فلسفية وعقائدية نابعة بلا ادنى شك من ثقافته العالية ، وهذا يتيح المجال الرحب عند الكثيرين للتأويل واتخاذ المواقف المختلفة ، ولا عجب ان نجد الاختلاف بين علماء المسلمين انفسهم فكيف يكون الاختلاف عند المستشرقين ، ونقصد هنا اختلافه مع ابن رشد[(٢)] الذي

(١) زويمر, ١٩١٧م, ص٤١-٤٢.

(٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد ، ولد في قرطبة سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م، نشأ ابن رشد وسط أسرة أندلسية بارزة تحب العلم ومارست الفتوى والزعامة الفقهية، درس اللغة والأدب وعلم الكلام والفقه والفلسفة ، واهم صلاته الفلسفية كانت بابن طفيل (المتوفى سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م) إذ قربه من الأمير أبي يعقوب يوسف الموحدي (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) ، الذي مهد له الاشتغال بالفلسفة وشرح وتلخيص مؤلفات أرسطو ، توفي ابن رشد في مراكش سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م بعد محنته مع الخليفة الموحدي ، وبعد أشهر نقل جثمانه إلى قرطبة . للمزيد عن حياته انظر : الضبي , احمد بن يحيى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس , تحقيق : إبراهيم الابياري ، (القاهرة ، لبنان : دار الكتب المصري ، دار الكتب اللبناني ، ١٩٨٩م) ، ج١ ، ص٧٩ .

رد على كتاب الغزالي « تهافت الفلاسفة « بكتاب موجهاً ضده عنوانه « تهافت التهافت» ، وسبق ذلك رحلته الى بلاد الشام وتردده على كهف جبريل ومهد السيد المسيح(عليه السلام) في الربوة وما لحق ذلك العمل من تأويل ، ثم وجود آراء فقهية وصوفية متوازية في الاتجاه الروحي الإسلامي والمسيحي ، وهذا ما يجعل الكثيرين ومنهم المستشرق والمنصر زويمر يظن انها مرتبطة بالاتجاهات الروحية المسيحية فقط ، مع انها وببساطة طقوس وممارسات مشتركة ، وتعاليم نابعة من إله واحد ، وهنا يبقى السؤال قائما : هل ما تقدم تبريرا لدى صموئيل زويمر لرسم منهج الغزالي وتفكيره العقائدي؟

من الممكن ان نجمل عدد من هذه الآراء لا سيما التي تعد ردا متقدماً على دراستنا هذه ، وهي في اغلبها وردت في مؤلف « احياء علوم الدين « و « الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الانجيل « ، والكتاب الاخير عبارة عن رسائل نادرة للإمام الغزالي يرجع الفضل في اكتشافها الى المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون((١))، حيث حصل على نسختين منها في مكتبة أيا صوفيا بمدينة إسطنبول نشر مقتطفات منها في مجلة الدراسات الإسلامية التي تصدر في باريس عام ١٩٣٢ ، وفيها نجد ان الغزالي كان حقا من المهتمين بما جاء في كتب الاناجيل المختلفة وليس فقط انجيل متي ، اذ تزخر مؤلفاته بنصوص من الاناجيل الاربعة وهذا ما يؤكد حب الغزالي للاطلاع واهتمامه بالعلوم المختلفة .

وعندما نتأمل نصوص الغزالي عن المسيحية نجدها مخالفة لما ذهب اليه زويمر من اراء بل تعد تجني لا أساس له على شخصية دينية مسلمة لها مكانتها الدينية في التراث الإسلامي ، اذ ان الغزالي كتب عن المسيحية والسيد المسيح(عليه السلام) من ناحية فقهية وعلمية ووفق ما جاء في القرآن الكريم ، وطرح مسائل مختلف عليها ثم قام بالرد عليها بما يتوافق مع أفكاره ، والتي تتوافق مع الشريعة الإسلامية ، وهو بذلك وان كان مدافعا عن السيد المسيح (عليه السلام) الا انه لم يخرج عن التزامه الديني ، وكل من يقرأ كتاباته سوف يكتشف صحة ما ذهبنا اليه ، وهو ما يجعل من آراء زويمر مجرد افتراءات لا أساس لها ، ويمكننا ان نذكر عدد من النصوص كتبها الغزالي في جوانب عدة تخص المسيحية والتي على ما يبدو ان زويمر لم يمر عليها او انه تعمد عدم الاخذ بها او الإشارة اليها ، منها ان صموئيل زويمر يؤمن بمسألة الاتحاد

(١) لويس ماسينيون ، من اكبر مستشرقي فرنسا وأشهرهم ، ولد في باريس سنة ١٨٨٣م ، تعلم اللغة العربية والفارسية والتركية والألمانية والانكليزية ، شكل الإسلام محور حياته باحثاً ومدرساً ولغوياً ، استهواه التصوف ، فكتب عنه مؤلفات ومقالات كثيرة ، توفي سنة١٩٦٢م . انظر : الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، (بيروت : دار العلم للملايين ، د.ت) ، ج٥ ، ص٢٤٧ .

وألوهية السيد المسيح (عليه السلام) ويتضح ذلك من كتاباته التي يؤكد فيها على ربوبية السيد المسيح : « من الأدلة على المقام الاسمى لربنا يسوع ...»[(١)] وهنا يختلف مع اراء الغزالي الذي انتقد فكرة الاتحاد مع الله عز وجل ، بل تهجم على تلك الاعتقادات ، فهو يفتتح كتابه بهذا النص : « اني رأيت مباحث النصارى المتعلقة بعقائدهم ضعيفة المباني واهية القوى وعرة المسالك يقضى المتأمل من عقول جنحت اليها غاية عجيبة» [(٢)]، ثم يقول : « لا يسامحون أفكارهم بمقاربته ، يعولون تارة على تقليد الفيلسوف في مسألة الاتحاد لإعظامهم ما يؤدي اليه من هدم قواعد تظافر على ثبوتها صرائح العقول»[(٣)] ، ويورد الغزالي نصوص انجيلية عدة ويقوم بتحليلها ثم يعطي ادلة عديدة على عدم صدق الادعاء القائل بإلوهية عيسى (عليه السلام) او اتحاد الجسد مع الروح ، هذه النصوص التي تؤكد إنسانيته يحللها الغزالي تحليلا علميا رصينا ويظهر المجاز الذي فيها ويبرز الإشارات والتأويلات التي تصرف عن الحقيقة الظاهرة الى معان أخرى باطنة فضلا عن استشهاده بآيات قرآنية منها: قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [(٤)].

ثم ان الاعتراف بالمنزلة العالية للنبي عيسى(عليه السلام) وما نسب اليه من معجزات وخوارق فهي من صميم الدين الإسلامي وما اكد عليه القرآن الكريم وهي معجزات لإثبات نبوته وانه رسول من الله وليس روحه : قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[(٥)].

لكن وعلى ما يبدو ان فكرة صموئيل زويمر في تأثر الغزالي باللاهوت المسيحي له اسبابا اكثر منطقية من تلك التي ذكرت حسب نمط تفكير (زويمر) ، وله ابعاداً ايدولوجية مرتبطة بالعمل

(١) زويمر, ١٩١٧م, ص١٢.
(٢) الغزالي, ١٩٩١م, ص٩١.
(٣) الغزالي, ١٩٩١م, ص٩٢.
(٤) سورة النساء, الآية: ١٧١.
(٥) سورة المائدة, الآية: ١١٥.

التنصيري واهداف الاستشراق الحديث ، والذي يتجه اتجاها آخر في التعبير عن مضمونه وغاياته ، وقد قال عنه ادوارد سعيد « إن الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيطرة عليه «[١]» ، والاستبناء هنا يشمل كل الجوانب ومنها الفكرية ، ومن ثم « هي علاقة من القوة ومن السيطرة ومن درجات متفاوتة من الهيمنة المعقدة المتشابكة «[٢]» ، والهيمنة هي صياغة جديدة في كل المجالات لا سيما تاريخ الافكار الدينية والمعتقدات ، فالاستشراق هنا هو « خلق جديد للآخر أو إعادة إنتاج له على صعيد التصور والتمثيل[٣]»، وليس هناك اوضح من تلك الهيمنة والصياغة الجديدة التي ارادها زويمر لعالم مسلم كالغزالي.

والواقع ان هناك عدد من المستشرقين قبل زويمر قد سوغوا لأنفسهم مسوغات وتدعيمات «علمية « لتدعيم نظرياتهم ، واهمهم الاسباني اسين بلاثيوس(١٨٧١ـ ١٩٤٤) الذي اهتم بشكل كبير بتراث العالم المسلم أبو حامد الغزالي منذ العام ١٩٠٠ ، اذ كتب عنه عدة مقالات في مجلة ارغون وفي اعداد مختلفة فضلا عن اطروحته للدكتوراه ، كتبت جميعها باللغة الاسبانية[٤]»، وآراء هذا المستشرق مطابقة لما ذهب اليه زويمر المعاصر له ، لكن كتابات بلاثيوس عن الغزالي سبقت كتابات غيره[٥]»، وهنا لا نستبعد ان تكون فكرة ان الغزالي قد تأثر بالرهبنة المسيحية التي تبناها الاسباني اسين بلاثيوس انتقلت الى زويمر عن طريق قراءته لإطروحات اسين العديدة والتي تأتي من ضمن اهتماماته بأعلام الفكر الإسلامي اذ قال عنه : « إن تأثير الفلسفية الإغريقية والرهبنة المسيحية الشرقية واضحة في الدين الإسلامي وأن في التراث اللاهوتي في القرون الأولى للمسيحية يمكن العثور من دون أي صعوبة في تراث عدد من المفكرين المسلمين ومنهم

(١) سعيد, ١٩٨١م, ص٣٩.

(٢) سعيد, ١٩٨١م, ص٤١.

(٣) يفوت, ١٩٨٩م, ص٨.

(٤) كتب هذا المستشرق عدة مقالات ومؤلفات عن الغزالي اهمها :

Asin Palacios, Miguel, Algazel : Dogmática, moral y ascetica , coleción de Estudios árabes,V1,(Estudios filosófico- teológicos,I) , zaragoza,1901.

La espiritualidad de Algacel y su sentido cristiano , T.l, TII ,TII. publicaciones de las ، اختتمها بمؤلف ضخم عبارة عن سلسلة في أربع مجلدات نشره باللغة الاسبانية هو « روحانية الغزالي ودلالاتها المسيحية « La espiritualidad de Algacel y su sentido cristiano , T.l, TII ,TII. publicaciones de las escuelas de estudioc arabes de Madrid .y Granada , serie A.Nº2 , Madrid,1934,1935,1936

(٥) كتب صموئيل زويمر كتابه « المسيح عيسى في احياء الغزالي» عام ١٩١٢ وكما ذكرنا ان كتابات المستشرق الاسباني قد سبقته بعشرة سنوات على الاقل .

الغزالي الذي تأثر بالكتابات والنصوص المكتوبة باللغة اللاتينية التي يمكن أن تترجم[1] « ، وحتى المستشرق جولدتسهير جعل « اصحاب النزعة الصوفية والفلسفية من المسلمين قد اكملوا مذهبهم بما انتحلوه من شواهد وعبارات من العهد الجديد»[2] ، فالاتجاهات الروحية ذات الاصول المسيحية عند اعلام الفكر الاسلامي حاضرة في كتابات العديد من المستشرقين لا سيما الذين لديهم دوافع دينية ، وهنا يمكن ان نكتشف سر اهتمام صموئيل زويمر بأحد الاعلام والذي يعد حجة وقدوة عند شريحة واسعة من المسلمين ومن ثم اعادة صورته امامهم ليجعل منه قارئاً للإنجيل بل ومؤمناً به كما يؤمن به المبشرين مستنداً الى ما كان يذكره الغزالي في كتاباته عن المسيح كما بينا ذلك في هذه الدراسة .

(1) Asin palacios,1902,p.390.

(٢) جولدتسهير, ١٩٥٩م, ص١٤٨.

الخاتمة

بحثنا في هذه الدراسة عن المستشرق والمنصر الامريكي صموئيل زويمر الذي يعد من اخطر الشخصيات التبشيرية التي زارت الدول العربية والاسلامية وتنقلت في مدنها ، مناديا بأهمية تنصير المسلمين متبعاَ طرق عديدة لتحقيق طموحاته واهدافه منها تقديم المساعدات الطبية الى المرضى المحتاجين للعلاج واهداء او بيع اجزاء من الإنجيل في المدن الاسلامية التي يمر بها او طباعة المنشورات التبشيرية وغيرها من الاساليب ، كما تحدثنا في هذا البحث عن تصوراته عن حجة الاسلام ابو حامد الغزالي الفقيه المسلم الذي عرف بكتاباته العديدة التي شملت علوم دينية وفلسفية ، وقد بينا ان خطورة صموئيل زويمر لم تقف عند حد طموحاته التي ارادها وهو تحويل المسلمين عن دينهم او تنصيرهم بل ذهب الى ابعد من ذلك وهو جعل من له مكانة كبيرة في التراث الاسلامي مثل الغزالي مؤمناً بالرهبنة المسيحية مدعياَ ان ذلك واضح لكل من يطلع على كتابات الغزالي والحقيقة ان الغزالي عالم وفقيه ذو ثقافة عالية جداً يمكننا ان نلمس ذلك عبر كتاباته التي شملت علوم مختلفة .

ان ادعاءات صموئيل زويمر في كتابه « مقام المسيح المكين في احياء علوم الدين « عن الغزالي هي مشابهة لمحاولاته التي حاول بها تنصير ولو اعداد قليلة من المسلمين او ثنيهم عن ايمانهم بنبيهم الاكرم ودينه الاسلامي ، والتي اعترف هو نفسه بفشلها ، ومن المؤكد ان زويمر كان يسير في ركب الاستعمار الفكري الذي سار عليه المستشرقين والمبشرين والذين كانوا يسيرون الى جانب السيطرة العسكرية في ذلك الزمان ، وقد وضحنا كل تلك الامور في هذا البحث ، ونتمنى ان نكون قد قمنا بالرد على هذا المستشرق والمنصر الخطير الذي افنى حياته من اجل هدف بائس واحلام كاذبة لا اكثر.

قائمة المصادر والمراجع

and James Canfne M. Samuel Zwemer. (بلا تاريخ). The Golden Milestone Reminscences of Pionee Days Fifty years Ago in Arabia. New York: Fleming H. Revell Company.

j, Wilson Christy. (1952). lslam,A Biography of Samuel M. Zwemer. Michigan: Baker Book house.

Miguel Asin Palacios. (1902). Psicologia De Le Creencia Según Algazel. Revista De Aragón 111,(n1).

١- ابو حامد الغزالي. (١٩٩١). الرد الجميل (المجلد ٣). (محمد عبد الله الزرقاوي، المحرر) بيروت: دار الجيل.

٢- أبو حامد الغزالي. (٢٠٠١). منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين (المجلد ٣). (محمود مصطفى حلاوي، المحرر) بيروت: دار البشائر الاسلامية.

٣- احمد سعد الدين البساطي. (١٩٨٩). التبشير واثره في البلاد العربية والإسلامية. القاهرة: دار أبو المجد.

٤- ادوارد سعيد. (١٩٨١). الاستشراق ، المعرفة . السلطة . الإنشاء. (كمال ابو ديب، المحرر) بيروت: مؤسسة الابحاث العربية.

٥- إصلاح عبد السلام الرفاعي. (د.ت). مقدمة كتاب الغزالي إحياء علوم الدين.

٦- إصلاح عبد السلام الرفاعي، مقدمة كتاب الغزالي " إحياء علوم الدين" ،. (د.ت). مقدمة كتاب احياء علوم الدين.

٧- العهد الجديد انجيل متي. (٢٠١٦). انجيل متي . بيروت: دار الكتاب الاشريف.

٨- الغزالي ابو حامد. (٢٠١١). احياء علوم الدين. القاهرة: مطبعة كرياطة فوترا.

٩- جولدتسهير. (١٩٥٩). العقيدة والشريعة (المجلد ٢). القاهرة: دار الكتب الحديثة.

١٠ حسن امين. (٢٠١١). الغزالي فقيها وفيلسوفا ومتصوفا. دمشق: دار المدى.

١١- حنا الفاخوري ، خليل الجر : ، (، دار الجبل) ، ج٢ ، ص٢٣٧. (بلا تاريخ). تاريخ الفلسفة العربية. بيروت: دار الجبل.

١٢- سالم يفوت. (١٩٨٩). حفريات الاستشراق. بيروت: المركز الثقافي العربي.

١٣- سعد آل حميد. (د،ت). اهداف الاستشراق ووسائله . مطبوعات جامعة الملك سعود ، كلية التربية.

١٤- سعد المرصفي. (د.ت). المستشرقون والسنة. بيروت: مكتبة المنار .

١٥ شهاب الدين عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الدمشقي ابو العماد الحنبلي. (١٩٨٨). شذرات الذهب في أخبار من ذهب(المجلد ٣). (عبد القادر الارناؤوط و محمود الارناؤوط، المحرر) دمشق: دار كثير.

١٦- صمويل زويمر. (١٩١٧). مقام المسيح المكين في احياء علوم الدين . القاهرة: المطبعة الانكليزية الامريكانية.

١٧- عارف تامر. (١٩٨٧). الغزالي بين الفلسفة والدين. لندن: رياض الريس للكتب والنشر.

١٨- عبد الرحمن الميداني. (٢٠٠٠). اجنحة المكر الثلاثة : التبشير الاستشراق الاستعمار. دمشق: دار القلم.

١٩- عبد الكريم العثمان. (د.ت). سيرة الغزالي واقوال المتقدمين فيه. دمشق: دار الفكر.

٢٠- عبد المتعال محمد الجبري. (١٩٩٥). الاستشراق وجه للاستعمار الفكري. القاهرة: مكتبة وهبة.

٢١- علي بن إبراهيم الحمد النملة. (١٩٩٨). المستشرقون والتنصي. الرياض: مكتبة الملك فهد.

٢٢- علي بن إبراهيم الحمد النملة. (١٩٩٨). المستشرقون والتنصير. الرياض: مكتبة الملك فهد.

٢٣- فراس السواح. (١٩١٧). الإنجيل برواية القرآن. دمشق : دار علاء الدين للنشر.

٢٤- محمد البهي. (د.ت). المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام. القاهرة: مطبعة الازهر.

٢٥- مصطفى السباعي. (٢٠١١). الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم. القاهرة: دار الرواق .

٢٦- ناصر بن إبراهيم بن عبد الله ال تويم. (٢٠١٧). صمويل زويمر حياته وجهوده التنصيرية. الرياض: مؤسسة العبيكان.

٢٧- نجيب العقيقي. (١٩٩٤). المستشرقون. القاهرة: دار المعارف.